Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بيئة ابن هشام واثرها فيه

لقد كان القرن السابع الهجرى وما زخر به وانتشر فيه من حركة علمية بمثابة تربة طيبة، تعهدها ومهدها حذاق الزراع، وأودعوا فيها أنفس ما وصلوا إليه من بذور، وأنزل الله عليها من المُعصرات ماء ثجاجًا، ليخرج به حبًا ونباتا، وجنات ألفافا، أزهرت وأثمرت وآتت أكلها ضعفين.

فى هذه التربة النقية، أو البيئة العلوية، نشأ ابن هشام، فتعلم ما كان يتعلمه نجباء هذا العصر من أبناء مصر، وقد أسلفت أنها خلفت بغداد فى كل ما كان لها، ومَنْ طَالع اليُمن والسعد انصراف همم المماليك الذين كانوا يحكمونها إلى تقريب العلماء والأدباء، وغمرهم بالعطايا الفاخرة؛ بعثًا لهممهم، وشحذًا لقرائحهم، واستدرارًا لصوب عقولهم.

من أجل ذلك كان عصر المماليك ولا سيما البحرية وهو العصر الذى تلا انفراط عقد الدولة الأيوبية، من العصور التى بلغت فيها اللغة مبلغًا عظيمًا من الرقى والنهوض، وزخرت القاهرة بالعلماء والأدباء.

وإن آثار ابن هشام لتضع يد الباحث فيها والمطلع عليها على أسباب نموه وسموه فى لغة العرب ، وتعطى الدليل - أبلغ الدليل - على ما كان الرجل يتمتع به من مواهب نادرة ، جعلت منه نسيج وحده وفريد نوعه ، وأن ما أصابه ابن هشام من حظ عظيم فى العلم، وما بلغه وشف عنه قلمه من علو كعبه فى الأدب، وما امتاز به أسلوبه من إشراق فى العبارة، وبلاغة فى الإشارة، وروعة فى التركيب، وما إلى ذلك من صفات لا ينالها إلا الآخذ بناصية علمه البارع فى فنه.

كل ذلك ينطق بما كان للرجل من عقلية خصبة، وذكاء نادر، وما انطوى عليه من قريحة وقّادة، وحسٍّ مرهف، وطبع سخى، وذوق سليم، وما تمتع به من فكر ثاقب، وذهن صاف، وحسن تدبير وتقدير.

***